نـافـذة

الإيمان بالشيء

الكلي، المكون شيء، الأنثى شيء، الذكر شيء، الأمة شيء، والوطن شيء، وكذلك تكون الوطنية، ضمن هذه السلسلة جميع المتكونات مرت بمرحلة الشيئية، إلى أن تعرفت على وجودها، ومن ثمَّ بدأت بتعريف كل شيء وبشكل دائم، وهذا يدعونا دائماً للتفكير الجدي لفهم ما أردنا من طرح عنواننا الذي يحتاج دائماً من أجل تعريفه إلى قوتي الإحساس والإدراك الكامنتين في أعماق وجودنا المادي، وحينما نصل إلى الإيمان، بأنهما ستأخذان بنا إلى معرفته، فإنَّ هذا الشيء سيستجيب إلى ما نريد، وهنا تبدأ عملية تبادل الثقة التي تتقوى كثيراً بهما، ما يمنحنا الشعور بحاستي الطمأنينة والأمان اللتين تدفعاننا للتغلب على الرهبة والخوف والوساوس والألم، كما أنهما ترشداننا إلى سبل الواقع الحامل لكثير من الخطايا، فننعدل عنها، فإذا سألنا بماذا نؤمن، ولمن نتجه بإيماننا، وبشكل أدق ماذا نريد من إيماننا، وما الصورة التي تسكن في عقلنا الواعي؟ وإذا كانت الحاجات التي نطلبها شخصية أم عامة، تخضع بين التحقق وعدم الاستجابة أو الاستجابة الجزئية، فإن عقلنا الباطن يدرك توافرها من خلال عمليتي الصدق والكذب، والشك واليقين، وهذا مرتبط بجوهر الحياة القائم في فلسفة الإيمان التي أوجدها العقل ضمنه، كفكرة معتنقة تقرر مصالحه، يبني من خلالها علاقاته الاجتماعية والوجدانية، فالإيمان وجد في الأساس لخدمة الحياة، وتنظيم المجتمع، والارتقاء بالإنسان، ولو لم يكن لدينا الحياة لما كان أي من المعارف أو العلوم أو الأديان ظهر بالتجانس والاستمرار، كما أنَّ الإنسان بعقله المدرك استطاع أن يديرها، ويظهر قواه عليها أمام قواها، إلا أنَّ ظروفه تخونه في كثير من أوقاته، بعد أن تتنازعه العواطف التي تثور في عقله الباطن، فإن لم يستطع التوفيق بينها وبين عقلانيته يصبْ بالاضطراب، لتفقده توازنه، آخذة به إلى نظام المسايرة، وفقدانه لإيمانه بذاته وبوجوده، حيث يتحول بعد ذلكٍ إما إلى تابع مريد، لما لا يريد، وإما يستحضر ما لا يريد، يطوِّعه ليغدو تحت منظومة أريد، إلا أنَّ الظروف تجبره على ممارسة ذلك بدراية منه، أو من دونها، وإما أن يأخذ الشكل الوظيفي لأداء المطلوب، حيث توظفه الظروف، ويصبح بها منفذاً، لا يمتلك أياً من حالات الإبداع؛ أي إنه يستكين لحالة الانتظام، ويفقد زمام المبادرة والجرأة معاً، من باب الاعتقاد بأن القلة تمنح الفرصة، والكثرة تفتقدها، أو أنها لا تمتلك قدرة الإمساك بخيوطها، لتبقى ضمن الانتظام وفلسفته الرتيبة التي تدعو إلى الشك بأن المكون الكلي مسؤول عن خلق سواد البشر فقراء عقل ومادة وندرتهم أغنياء، يتحكمون بمقدرات الكائنات والمتكونات، هل يمكن للإنسانية أن تؤمن بذلك، كيف يحدث ذلك؟

الإيمان بالشيء يحدث لحظة أن تتمتع لغة الإنسان بأجنحة صفاء الفكر، وإبداعات العقل، وامتلاك حاسة المنطق التي تؤدي إلى النطق السليم الذي يعرف قيمة مفهوم الحلال والحرام، يحولها إلى أفعال، يدرك من خلالها نوعية إنتاجه ومكتسباته، وحينما تظهر قيمة القامة وقوتها التي تخرج على الحياة شخصية متزنة أمام الآخر ومنسجمة مع ذاتها، تترفع عن الدون، وتتجه إلى الرفعة، ليكون مثلها الأعلى الحق المسكون في الفكر، وتستحق معه الحياة، نغوص في عوالمنا العربية والإسلامية، نبحث فيها، غايتنا معرفة بماذا تؤمن، لنجد أنها وحتى اللحظة ترزح تحت مفاهيم الاتكالية القادمة من تنوع الطرائق الدينية التي تعمق حضور الغيبية والانعزالية، وترخي عليها ظلال الظلامية التي تبثُّ فيها الخرافة والعرافة والشعوذة، وتدفع بها وبقواها الهائلة إلى الأسفل، وبدلاً من أن تذهب إلى معرفة الشيء وتعريفه، كما حدث مع ذاك الإنسان الموغل في القدم، والذي أسس لكل شيء، وعرفه من أجل الإيمان به، نجد إنساننا الحالي أمسك به، وهرول يدافع عنه، ليبقيه مظهراً دون تعريف للجوهر، وتستمر هكذا في حالة التجهيل لذاتها ووجودها، ودليلنا الدائم عدم الاعتراف بأننا لا نحترم الحياة، ولم نقم بتقدير القوى البشرية، ولم نؤمن بالتعاون الإنساني، وأن العالم كائن أزلي أبدي لم ينته يوماً، ولم تنقطع الحياة منه، لأنه يؤثر في بعضه، ويتأثر بحَكم حركة التاريخ التي يدونها الزمن، ولا يأخذ منها إلا ما استقام من الفكر والمنطق، على الرغم من تدوينه للأخطاء والقضايا التي أسهمت بشكل مباشر أو غيره في انهيار شعوب وأمم ودول وقادة.

هل يمكن للإنسان أن يؤمن بعدة أشياء غير معرفة، في آن يؤمن بالمكون صاحب العقل الكوني، وبالعلم وتخصصه به من أجل الإبداع، وبالمعرفة الابتدائية وآفاقها اللا نهائية، ويطورها بإنسانيته، وأنه متكوّن من أجل نظيره الإنسان المحيط به، هل له أن يؤمن بالانتصار واحتياجاته، والانكسار وأسبابه؟ كيف بنا نؤمن بالشعور العام الذي من المفترض أن يدعو دائماً إلى التفوق على الذات الفردية ومعاني صنع التحضر، وكيفية الارتقاء والتمسك بالكفاح البنائي، من أجل مقاومة الجهل والتخلف ضمن فلسفة الحياة، من دون الاعتداء على حقوق الآخر؟ كيف بنا نؤمن بأن الشرف يسكن الكلمة والحركة والفعل والإنجاز، وأنه لا يكون بين ساقي أنثى، والأنثى شيء لا يعني أنها فقط النصف، إنما تتماثل معه تماماً، وتبادلت عبر كل الحقب الأدوار بينها وبينه، ولندقق في أنَّ إناث الكلاب تقوم في حراسة القطيع تماماً أثناء غياب ذكورها؛ بل أكثر من ذلك، لينتفي معها مفهوم الذكورة الإلهية والبشرية والحيوانية والنباتية، ويتحول الكل إلى أشياء تحتاج إلى التعريف.

ضرورة الإيمان بالشيء الذي يتحول إلى كل شيء، وبعدها يغدو أنَّ ليس كمثله شيء، يؤدي إلى انتفاء الغضب وابتسام الانتصار وبذره على شفاه الأمل، تمتلئ رحابة الصدور بمشاعر الفرح، يتجه بعدها الإنسان كل الإنسان إلى دفن الحروب ونثر الأمان والسلامة على أنقاضها، تعود الحياة للانتشار بقوة تلذُّذ الذاكرة بتخلصها من تلك الأعباء المقيتة. من كل ذلك نجد أنَّ الإيمان وحده، يأخذ بالعقل الإنساني إلى الارتقاء، والترفُّع عن صغائر الأمور، والتحوُّل إلى الإمساك بنواصي الحياة.

د. نبيل طعمة

نجوم عاشوا حياة الفقر والتشرد قبل اقتحام عالم الشهرة

شريهان قضت طفولة قاسية ومرعبة.. وميريام فارس عانت عنف والدها.. وسيرين عبد النور عملت بسن مبكرة

«أنطوني كوين» عمل فلاحاً وبائع مشروبات وماسح أحذية وسائق تاكسي

وائل العدس

طفولة قاسية، ومشاعر حزينة، وتوترات نفسية، هذه كلمات تصف حياة عدد من نجمات الفن العربي في بداية حياتهن، حيث عانين طويلاً بسبب أزماتهن العائلية، والتي كان سببها انفصال الوالدين.

سيرين عبد النور

ميريام فارس

أنطوني كوين

شريهان

اضطرابات كثيرة

أثارت الفنانة اللبنانية سيرين عبد النور الجدل باعترافها بأنها عاشت طفولة ومراهقة بعيدة كل البعد عن المثالية، حيث صدمت بطلاق والديها، وكانت تعيش اضطرابات كثيرة، كما أنها اضطرت للعمل وهي صغيرة بسبب أزماتهم المالية، لافتة إلى أن هذا الواقع أثر في فكرتها تجاه الزواج، وأنها واجهت صعوبات كي توافق على الارتباط بزوجها الحالي فريد رحمة.

اعترافات سيرين الصريحة رغم الجدل والقسوة أثارت أيضاً احترام متابعيها.

طبيب نفسي

الفنانة التونسية هند صبري اضطرت في مرحلة صباها الذهاب إلى طبيبها النفسي لمواجهة واقعها الأسري، حيث اعتبرت أن طلاق والديها في مرحلة مبكرة من حياتها فاجعة كبيرة لها، وأنها كانت تلوم والدها كثيراً على قرار التخلي عن مؤسسة الأسرة.

التفكك الأسري

التفكك الأسري أيضاً عانت منه ميريام فارس في طفولتها، وخصوصاً أن والدها كان يسبب لها مشكلات وأزمات كثيرة، وكان يمارس العنف ضدها أيضاً بسبب إدمانه للعب القمار، وهو الأمر الذي دفعها مع والدتها وأشقائها لترك منزل العائلة والعيش بعيداً عنه، وهي بدورها كانت تعمل منذ الطفولة لتتمكن من الإنفاق على أسرتها.

حزن كبير

مالا يعلمه كثيرون أيضاً أن والدي الفنانة المصرية مي عز الدين قد انفصلا وهي صغيرة، وهو أمر سبب لها حزناً كبيراً أيضاً، ورغم أن والدها حاول تعويضها والالتقاء بها على فترات إلا أن بقاءها للعيش مع والدتها سبب لها حرماناً من مظلة الأبوة.

طفولة قاسية

عاشت النجمة المصرية شريهان طفولة فيها تفاصيل قاسية للغاية وتبدو مرعبة أيضاً، حيث دخلت وهي في عمر الـ١٤ من عمرها المحاكم مع والدتها وخاضتا معاً حرباً لإثبات نسبها لوالدها المحامي عبد الفتاح الشلقاني وكان هذا في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، فبعد وفاة الأب رفضت عائلته تسليم الميراث لشريهان ووالدتها واتهموا الأم بالتزوير والتحايل على القانون نظراً لأن زواجها بالمحامي الشهير كان عرفياً، وحدث الطلاق وشريهان مازالت في مرحلة الطفولة المبكرة جداً، حيث رفضت عائلته هذا الزواج لأن السيدة عواطف والدتها كانت تعمل عارضة أزياء وهو أمر كان غير لائق بالنسبة لهم، كما أنه كان الزواج الثاني في حياتها.

عالمياً

لم يولد معظم النجوم وفي أفواههم ملاعق ذهب، قبل أن يصعدوا سلم المجد والشهرة، بل شكلت الظروف الحياتية القاسية التي عاشها هؤلاء النجوم دافعاً لهم لهجر حياة الصعلكة والتشرد والفقر، ورغم صعوبة العيش في الشارع وقسوته واضطرابات الطقس وبرده، عاش عدد من نجوم هوليوود في الشارع واتخذوا السيارات منازل لهم بسبب فقرهم قبل أن يصلوا إلى النجومية ويحققوا أحلامهم.

النجمة السمراء «هالي بيري» من أشهر نجوم هوليوود الذين عانوا حياة صعبة قبل الشهرة، فلم يكن لديها منزل وعاشت مشردة في الشوارع قبل أن تدخل إلى ملجأ المشردين، ولأن حلمها كان تحقيق الشهرة والنجومية اتجهت هالي بيري إلى الفن واحترفت التمثيل وحققت نجومية كبيرة في وقت قياسي.

كما تشابه معها الممثل العالمي «أنطوني كوين» في مرارة العيش، حيث عمل في الفلاحة، وبعد وفاة والده تولى إعالة أسرته وعمل في حقول القطن في ظروف شديدة القسوة، كما عمل بائع مشروبات وماسح أحذية وسائق تاكسي وراقصاً في مسابقات الرقص وملاكماً في رهانات الملاكمة، وعن هذه المرحلة من حياته يقول: «كنت أقاتل حتى أكسب قوتي وأحصل على لقمة عيشي مخضبة بدماء الآخرين».

واستمر في ممارسة أعمال مختلفة متنقلاً بين مناطق كاليفورنيا إلى أن أسند له مخرج دوراً في مسرحية، ثم بعدها تغيب أحد الممثلين من أصحاب الأدوار الرئيسية فأسند الدور لأنطوني وتوالت الأدوار إلى أن أصبح نجماً ينافس النجوم الكبار.

كما استعان عدد من نجوم هوليوود بالسيارات بدلاً من المنازل التي لم يكن باستطاعتهم استئجارها، مثل الفنانة «هيلاري سوانك» الفائزة بجائزة الأوسكار، والتي اضطرت للعيش عدة سنوات في سيارة مع والدتها.

كما عاش نجم سلسلة «جيمس بوند» الفنان «دانيال كريج»، في الحدائق العامة لفترة، وقام مغني الراب الشهير «بيتبول» بتجربة الأمر نفسه، حيث فضل التشرد والتسكع بالشوارع في سنوات المراهقة بسبب شخصيته وقناعاته الخاصة، وعاش هؤلاء الفنانون نوعاً من العزلة بعيداً عن رابطة القرابة العائلية، ومنهم من استرجع صلاته العائلية بعد أن أصبح في أوج المجد والشهرة، كالمغنية «جينيفر لوبيز» التي عاشت فترة داخل استوديو تتدرب بداخله على الرقص، وعادت إلى عائلتها بعد أن حققت إنجازاً في عالم الفن.

واضطر بعض الفنانين إلى المبيت في محطات الحافلات، مثل الفنان «سيلفستر ستالون» الذي اضطر إلى المبيت في محطة حافلات عامة بسبب إفلاسه، وعدم امتلاكه منزلاً قبل أن تطرق الشهرة بابه، وأيضاً الفنان «مارتن شين» الذي كان يبيت ليلاً في محطات مترو الأنفاق قبل أن يصبح ممثلاً شهيراً.

الممثل الكوميدي الشهير «جيم كاري» تسرب من المدرسة الثانوية، وعاش في شاحنة «فولكس فاغن» مع عائلته، كانت تتوقف في أماكن مختلفة داخل كندا، ثم في نهاية المطاف، انتقلوا إلى خيمة في حديقة منزل أخته الأكبر سناً، ويعتبر كاري روح الدعابة ولدت في هذه الأوقات المالية الصعبة التي نشأ فيها.

نساء روسيات يحترفن عمل الرجال

عمليات البحث في الغابات ونزع المتفجرات أعمال مارسنها

مها محفوض

أحيت معظم دول العالم الأسبوع الفائت يوم المرأة العالمي الذي نجد له في روسيا طابعاً مميزاً ولوناً خاصاً فهو العيد الأكثر شعبية فيها، يعود تاريخ الاحتفاء به أول مرة إلى العام ١٩١٣ في روسيا القيصرية واعتبر عيداً وطنياً منذ العام ١٩١٨.

وقد تمثلت خصوصيته هذا العام في الكلمة التي وجهها الرئيس بوتين للمرأة الروسية قائلاً فيها: « عزيزتي المرأة من كل قلبي أهنئك باليوم العالمي للمرأة فروسيا تحتفل بهذه المناسبة بحب خاص ربما أكثر من أي دولة أخرى للمرأة التي أعطتنا الحياة وأدفأت قلوبنا بالحب والدعم والعناية، إنها المرأة بكرامتها ورحمتها التي أعطت روسيا روحها الحقيقية».

وقد تم بهذه المناسبة عرض أفلام عن أعظم النساء الروسيات وعروض لمجندات بالبزة العسكرية في مركز تدريب قوات الصواريخ الإستراتيجية الروسية وإظهار مهارتهن في التدريب البدني والتقني، أما اللافت أن مؤسسة RBTH الروسية قدمت هذا العام لمحة عن خمس نساء وصفتهن بالأسطورة ممن تم تجنيدهن سابقاً في الحصول على معلومات لمصلحة الاتحاد السوفييتي حيث قمن بتأدية الدور بجرأة وشجاعة لا يدانيها الرجال.

ناديجدا بليفتسكايا

آنا كاماييفا فيلونينكو

من هؤلاء النسوة: ناديجدا بليفتسكايا، الشابة التي بدأت مسيرة حياتها كراهبة ثم أصبحت مغنية مشهورة، كانت صديقة المؤلف الموسيقي سيرغي راخانينوف وقد وصفها القيصر نيكولا الثاني بـ«عندليب كورش»، هاجرت بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ ثم تزوجت نيكولاي سكوبلين الجنرال في الجيوش البيضاء حينذاك وفي العام ١٩٣١ تم تجنيد الزوجين من المخابرات السوفييتية إلى أوروبا حيث قدما خلال ست سنوات معلومات وافية عن أوساط المهاجرين إلى أوروبا غير أن العملية التي فشلوا بها كانت اختطاف الجنرال ميلر (رئيس الاتحاد العام للمحاربين الروس في الخارج) في باريس عام ١٩٣٧ حيث واعد الزوجان ميلر لتعريفه بدبلوماسيين ألمان إلا أن ميلر كان حذراً من اللقاء وكتب رسالة جعلت الأمور تلتبس على الزوجين وفشلت العملية فهرب سكوبلين إلى إسبانيا على حين الزوجة ألقي القبض عليها وماتت في سجن رين بفرنسا عام ١٩٤٠.

• زويا فوسكريسينكايا: المرأة الجميلة القوية بدأت عملها عام ١٩٢٩ في وزارة الخارجية وعمرها اثنان وعشرون عاماً ليتم اقتراحها بالذهاب إلى جنيف لتكون صديقة جنرال ألماني هناك لكنها وكما تقول في مذكراتها: «أجبت بأنني سأذهب وسأصبح عشيقته لأن ذلك ضروري لبلدي لكنني سأنتحر فيما بعد «ثم تضيف: أعفيت من المهمة وبعدها لم توكل إلي مهمة مشابهة».

أرسلت بعدها لتعمل في لتوانيا وألمانيا وفي النمسا وفي العام ١٩٤١ وبحجة أنها موظفة في رابطة العلاقات الثقافية السوفييتية مع الخارج (VOKS) حضرت زويا حفل استقبال في السفارة الألمانية حيث دعاها السفير الألماني إلى رقصة فالس وخلال الرقص لمحت في القاعة المجاورة آثاراً مستطيلة الشكل على الجدران كانت آثار لوحات تم نزعها تمهيداً لإخلاء السفارة الأمر الذي لم يرد الألمان أن يعلموا به أحداً.

تقاعدت زويا في العام ١٩٥٥ وانصرفت إلى تأليف كتب للأطفال ولم يعلم أحد شيئاً عن نشاطها حتى العام ١٩٩٠ حين كشف عنها رئيس KGB فلاديمير كريوتشكوف في إحدى مقابلاته.

• مارغاريتا كونيوكوفا: جاءت مع زوجها النحات الشهير سيرغي كونيونكوف إلى نيويورك عام ١٩٢٣ ليقيم معرض فن سوفييتي هناك، لكن إقامة الزوجين امتدت إلى اثنين وعشرين عاماً حيث إنه بينما النحات يبدع في فنه كانت الزوجة من خلال صالة العرض التي تديرها تقيم علاقات مع أهم رجال السياسة الأميركيين وزوجاتهم ليتم استقبالها فيما بعد في البيت الأبيض من قبل السيدة الأولى أليانور روزفيلد والهدف كان التعرف على العلماء الذين يعملون في مشروع السلاح النووي فاستطاعت مارغاريتا الوصول إلى « أبو القنبلة النووية» روبر اوبنهمير كما تعرفت على ألبير أنشتاين عام ١٩٣٥ ونجحت في تجنيد عدد من علماء الفيزياء النووية الأميركيين أيضاً وبناء على طلب مارغاريتا التقى أنشتاين السفير السوفييتي في نيويورك يومذاك وفي العام ١٩٤٥ عادت إلى الاتحاد السوفييتي لتعيش في موسكو إلى أن توفيت عام ١٩٨٠.

> معلومات وافية عن أوساط المهاجرين في أوروبا وفشل في بعض العمليات

• إلينيا موديرجينيسكايا: في نهاية عام ١٩٤٠ وفي محطة قطار فرسوفيا المزدحمة تتجه أنظار الركاب إلى امرأة تنزل من القطار وترتمي في أحضان رجل يحمل باقة من الزهور إيفان فاسيليف، مسؤول السفارة الروسية واسمه الحقيقي بيوتر غوديموفيتش كان ذاك الرجل الذي جاء يبحث عن زوجته ماريا والتي حقيقة هي المرة الأولى التي يراها فيها وهي إيلينا وقد أرسل الثنائي إلى هناك للتعرف على المشاريع الألمانية المضادة للاتحاد السوفييتي لكن المخابرات الألمانية غيستابو عززت الشبهات حول العميلين وتم توقيفهما في ٢٢ حزيران ١٩٤١ يوم إعلان هتلر هجومه على الاتحاد السوفييتي غير أن استجوابهما لم يفض إلى نتائج وقد تمت مبادلتهما مع دبلوماسيين ألمان حيث عادا إلى الاتحاد السوفييتي وتزوجا ليصبحا ثنائياً حقيقياً هذه المرة.

• آنا كاماييفا فيلونينكو: كانت واحدة من مجموعة المهام الخاصة التابعة لوزارة الداخلية في خريف عام ١٩٤١ وعمرها ٢٣ عاماً دخلت في إحدى الخلايا المقاومة لتعطيل وتخريب أي هدف للنازية في موسكو وقد كلفت يومها بتدبير عملية تفجير ضد هتلر ثم أرسلت آنا مع المقاومين لتنظيم عمليات تفجير خلف المجموعات الألمانية، وفي العام ١٩٤٤ أوفدت إلى المكسيك في مهمة تحرير قاتل تروتسكي من السجن لكن العملية ألغيت في اللحظات الأخيرة. بعد الحرب تزوجت آنا من رجل الاستخبارات ميخائيل ميلونينكو وقضى الزوجان ١٢ عاماً كعملاء في الخارج قبل أن يلتقيا في البرازيل عام ١٩٥٥.

ومن النساء اللواتي سلط الضوء عليهن في هذه المناسبة وتحت عنوان «نساء يحترفن عمل الرجال»: غالينا سليساريفا التي تعمل في نزع الألغام وهي المرأة الوحيدة في روسيا تمارس مهنة مزيلة ألغام التابعة لوزارة الطوارئ وهي من منطقة غالوكا جنوب غرب موسكو تقول غالينا:

لست أنا من اختار المهنة بل هي التي اختارتني منذ بداية شبابي حيث كنت شغوفاً بعمليات البحث في الغابات وكنت أرى فرقاً خاصة تصطدم بوجود ألغام ومتفجرات تعود إلى الحرب العالمية الثانية فلم يكن أمامي سوى التدريب على نزع هذه الألغام لأتابع عملي المفضل وقد واجهت في البداية ردة فعل قوية من الرجال الذين يقومون بهذا العمل على أنه عمل ذكوري فقط وكيف يمكن لامرأة أن تنزع ألغاماً غير أنهم وبعد أن عملوا بصحبتي تغيرت آراؤهم جذرياً وقالوا لي: لسنا خائفين معك لأنه حقيقة غريزة البقاء عند النساء أقوى وهذا أمر مهم جداً لمزيل الألغام».

ساهمت غالينا بحماية الكثير من العتاد والذخائر ويتم استدعاؤها في حالات غالباً خطيرة غير متوقعة وهي تقود شاحنة عسكرية GAZ66.